عليٌّ أميرُالمؤمنينَ في تفاسيرِ علماءِ أهلِ السُّنَّةِ

محمد ابراهيم خليفة التستري (شوشترى)
عضو الهيئةالعلمية لكلية الآداب و العلوم
الإنسانية في جامعةالشهيد بهشتي بطهران

الحمدُلِلّهِ رَبِّ‌العالَمِينَ و صَلّىٰ‌اللّهُ على خيرِ خلقِهِ أجمعين محمدٍ النَّبِيِّ‌العظيمِ و أهل بيته‌الطيبين‌الطاهرينَ‌المعصومينَ و سلَّمَ تسليماً كثيراً.

(رَبِّ اشْرَحْ لي صَدْري. و يَسِّرْ لِيْ أَمْرِيْ. وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِساني. يَفْقَهُوا قَوْلِيْ) (طٰه / ٢٥-٢٨).

إنه لَافتخارٌ عظيمٌ حقاً أنْ يُوَفَّقَ‌الباحثُ لإلقاءِالضَّوءِ على جزء من بُعْدٍ من‌الأبعادِالكثيرةالمتنوعةِ لشخصيةِ أميرالمؤمنينَ عليِّ‌بنِ أبي‌طالبٍ عليه‌السلامُ. تلك‌الشخصيةُالفَذَّةُالعظيمةُالتي تسابقَ ذَوُوالحكمةِ إلى إدراكها والإلمامِ بها. لكنَّ العَجْزَ والقُصُورَ قعدابِهِمْ فأقَرُّوا و تصاغروا؛ لأنه‌القرآنُ‌الناطقُ قولاً و فعلاً، فهوالمعجزةُالخالدةُ دنياً و آخرة. إذ إنه بعدَ أنْ أَمَرَالناسَ بما أمرَهُمُ‌اللّهُ بِهِ و نَهاهُمْ عمّانَها هُمُ‌اللّهُ عنه قال: «أَيُّهاالنّاسُ، إنّي ـ واللّهِ ـ ما أَحُثُّكُمْ على طائَةٍ إلاّ و أسْبِقُكُمْ إليها، ولا أَنْهاكُمْ عن مَعصِيةٍ إلاّ و أَتَناهىٰ قَبلَكُمْ عنها.» (نهج‌البلاغه: الخطبة ١٧٥).

و إنَّ هذه‌المقالة سَعْيٌ مُتَواضعٌ للإشارة إلى بعض الآيات‌القرآنية‌الكريمة‌التي صرَّحَ في تفسيرِها علماءُالتفسيرِ من‌السُّنَّةِ بأنَّها نزلَتْ في حَقِّ‌النّبيِّ و أَهلِ بيتهِ (عليٍّ و فاطمةَ والحسنِ والحسين) صلّى‌اللّه عليه و عليهم و سلّم. و كذاالتي صَرَّحُوا بنزولها في حَقِّ عليٍّ أميرالمؤمنين ـ عليه‌السلامُ ـ وحدَهُ و كذلك‌التي صَرَّحُوا بنزولها في حَقِّ عليٍّ و أهلِ

فرهنگ، ٣٣-٣۶، بهار ـ زمستان ٧٩، صص ۴۵٣-۴٧۵

بيتهِ (فاطمةَ والحسنِ والحسينِ).

و لقد اقتَصَرْتُ في هذهالمقالةِالمختصرةِ على عشرِ آياتٍ من ثماني سُوَرٍ. علماً بأنَّ سورةَ (الإنسان) قد نزلت كُلُّها في حَقِّ أهلِالبيت عليهمالسلام. و قد وجَدْتُ أنَّ تفاسيرَالعلماءِ لهذهالآياتِالكريمات نوعان هما:

الأول: التفاسيرالتي جزم فيهاالعلماء كُلُّهُمْ أو بعضهم بنزول تلكالآيات في أهلالبيت عليهمالسلامُ سواءٌ أكانَتْ نازلةً في حَقِّ عليٍّ ـ عليهالسلامُ ـ وَحْدَهُ مثل آيةِالولايةِ أم كانت نازلة في أهلِالبيت(ع) كآيةالتطهير.

الثاني: التفاسيرالتي ذكر فيهاالعلماءُ روايات نزولالآيات في عليّ(ع) مع روايات أخرى تذكر نزولها في غيره مثلُالآيةِالسابعةِ والسّتِّينَ من سورةالمائدة.

و إنَّ منهجي في هذه المقالة أنني أذكر أولاً الآيةَ الكريمةَ، و أكتبُ تحتها عنواناً مستفاداً و منتزعاً من نصوص‌المفسرين. و بعد ذلك أنقلُ نصوصَالمفسرين من علماء السنةالبارزين. ثم أذكر ما فهمته و استنبطته من تلكالنصوصِ. على أنني قد ناقشتُ بعضَالمفسرينَ لأنني وجدتُ ذلك لازماً.

و قد اعتمدت‌المصادرالتالية أذكرها. بحسبالتّرتيبالزّمنيّ:

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

۱. معانيالقرآن	لأبی زكريا الفراء (المتوفی سنة ۲۰۷ هـ ق)
۲. معانيالقرآن و إعرابه	لأبي اسحق ابراهيمالزجاج (المتوفی سنة ۳۱۱ هـ ق)
۳. إعرابالقرآن	لأبي جعفرالنحاس (المتوفی سنة ۳۳۸ هـ ق)
۴. أسبابالنزول	لأبي‌الحسن علي‌بن أحمدالواحديّ (المتوفی سنة ۴۶۸ هـ ق)
۵. الكَشّاف	لأبي‌القاسم محمودبن عمرالزمخشريّ (المتوفی سنة ۵۳۸ هـ ق)
۶. المُحَرَّرُالوجيزُ في تفسيرالكتابالعزيز	لابن عطيّةَالغِرناطيّ (المتوفی سنة ۵۴۱ هـ ق)

۷. التفسيرالكبير	لفخرالدين الرازيّ (المتوفى سنة ۶۰۶ هـ ق)
۸. مسائل الرازيّ من غرائب آي التنزيل	لمحمدبن أبي بكربن عبدالقادرالرازي (المتوفى سنة ۶۶۶ هـ ق)
۹. البحرالمحيط	لأبى حيان الأندلسيّ (المتوفى سنة ۷۵۴ هـ ق)
۱۰. لبابُ النُّقُولِ	لجلال الدين السيوطيّ (المتوفى سنة ۹۱۱ هـ ق)

* و سأذكرالآيات الكريمة بحسب ترتيب السورالقرآنية.

و من الله تعالى أستَمِدُّ العَوْنَ والتَّسديدَ إنَّه نِعمَ المولىٰ و نعمَ النَّصيرُ.

قال الزمخشريّ: «و عن رسولِ اللّهِ ـ صلّى اللّهُ عليه و سلَّم ـ:

(سُبّاقُ الأُمَمِ ثِلاثَةٌ لَمْ يَكفُرُوا باللّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ: عليُّ بنُ أبي طالبٍ، و صاحبُ يس، و مُؤمِنُ آلِ فرعَونَ)» (الزمخشري: ج ۴، ص ۱۰).

و هذا يعني أنَّ علياً(ع) هوالمؤمنُ الوحيدُ الذي كانَ أفضلَ المؤمنينَ بعدالنّبيّ(ص)؛ لأنه سَبّاقُ الأمَّةِ الاسلاميةِ.

الآية الأولىٰ

قالَ اللّهُ تعالىٰ:

الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ المُمْتَرِيْنَ. فَمَنْ حَآجَّكَ فِيْهِ مِنْ بَعْدِ ما جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا و أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّهِ على الكاذِبِيْنَ (آل عمران/ ۶۰ و ۶۱).

۱. عَلِيٌّ هو نَفْسُ محمدٍ رسولِ‌اللّٰهِ(ص)

قال‌الواحدي (أسباب‌النزول: ص ۶۸) و هو يُفسِّرُ و يذكر سبب‌النزول:

فغدا رسولُ‌اللّٰهِ صلّى‌اللّٰهُ عليه و سلّمَ، فأخذ بيدِ عليٍّ و فاطمةَ، و بيدِ‌الحسن والحسين. ثم أرسلَ إليهما[۱] فأبيا أنْ يُجيبا، فأقَرّا له بالخراج... قال جابرُبنُ عبداللّٰه: فنزلَتْ فيهم[۲] هذه‌الآيةُ: (فقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أبناءَنا و أبناءَكُمْ و نساءَنا و نساءَكُمْ و أنْفُسَنا و أنْفُسَكُم.) قال‌الشّعبِيّ: أبناءنا: الحسن والحسين، و نساءنا: فاطمة، و أنفسنا: عليُّ‌بنُ أبي طالبٍ رضي‌اللّٰهُ عنهم.

فالواحدي روى سببَ‌النزولِ بطريقين: الأول، الحسن‌البصريّ؛ والثاني جابربن عبداللّٰه الأنصاريّ.

و قال‌الزمخشري (الكشّاف: ج ۱، ص‌ص ۳۶۸-۳۶۹) و هو يُفسّرُ و يذكر سبب النزول:

فأتىٰ رسولُ‌اللّٰهِ صلّى‌اللّٰه عليه و سلّمَ و قدغدا محتضناً‌الحسين آخذاً بيدِ‌الحسن. و فاطمةُ تمشي خَلفَهُ، و عليٌّ خَلفَها، و هو يقول: (إذا أنا دَعَوْتُ فأَمِّنُوا)، فقالَ أُسقُفُ نجران: يا معشرَ‌النصارىٰ، إني لأرى وجوهاً لوشاءَاللّٰهُ أنْ يُزيلَ جبلاً من مكانِهِ لأزاله بها، فلا تُباهِلُوا فتهلكُوا، ولايبقى على وجهِ‌الأرضِ نصرانيٌّ إلى يومِ‌القيامَةِ.

و قال فخرالدين‌الرازي (التفسيرالكبير: ج ۸، ص ۸۰) و هو يُفَسِّرُ و يذكر سبب‌النزول:

و كانَ رسولُ‌اللّٰهِ صلّى‌اللّٰهُ عليه و سلَّمَ خرج و عليه مرطٌ من شعرٍ أسود، و كان قد احتضنَ‌الحسين، و أخذ بيدالحسن، و فاطمة تمشي خلفه، و عليٌّ رضي‌اللّٰه عنه خلفها، و هو يقول: (إذا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا)، فقال أُسقُفُ نَجرانَ... .

و قال أبوحيان الأُندلسيّ[۳] (البحر المحيط: ج ۲، ص ۴۷۹) و هو يفسرالآية و يذكر سبب نزولها:

(ندعُ أبناءَنا و أبناءَكُمْ و نساءَنا و نساءَكُمْ و أنفسَنا و أنفسَكُمْ)، أي: يدع كُلٌّ مِنّي و منكم أبناءَهُ و نساءَهُ و نفسه إلى‌المباهلة. و ظاهر هذا أنَّ‌الدعاء والمباهلة بين‌المخاطب بـ (قُلْ) و بين مَن حاجّه. و فُسِّرَ على هذاالوجه الأبناء بالحسن والحسين، والنساء بفاطمة، والأنفس بعليّ. قال الشّعبيّ: و يدل على أنَّ ذلك مختص بالنّبيّ صلّى‌اللّٰه عليه و سلم مع مَن حاجّه ما ثبت في صحيح مسلم من حديث سعدبن أبي وَقّاص قال: لمّا نزلت هذه‌الآية: (تعالَوا نَدعُ أبناءَنا و أبناءَكُمْ) دعا رسولُ‌اللّٰهِ صلّى‌اللّٰه عليه و سلَّمَ فاطمةَ و حسناً و حسيناً، فقال: (اللهُمَّ هؤلاءِ أَهْلِي).

إنَّالنصوص المتقدمة أجمعت على أنها فسّرتِالأبناء بالحسن والحسين، والنساء بفاطمة، والأنفس بعليّبن أبي طالب، عليهم السلام. و قد وجدت الزمخشري روىٰ حديثاً شريفاً صرّح فيه النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ـ بأنَّ عليَّبنَ أبي طالب كنفسه؛ والحديث هوالآتي:

و قال الزمخشريّ (الكشّاف: ج ۴، ص ۳۶۰):

... فَغَضِبَ رسولُاللّهِ صلّى اللّه عليه و سلَّمَ، وهَمَّ أنْ يغزوهم فبلغ القوم، فَوَرَدُوا، و قالوا: نَعُوذُ باللّهِ من غَضَبِهِ و غَضَبِ رسوله، فاتهمهم، فقال: (لَتَنْتَهُنَّ أو لَأَبْعَثَنَّ إليكُمْ رجلاً هو عندي كنفسي، يُقاتلُ مقاتلتكُمْ و يَسبِي ذَرارِيكُمْ)، ثم ضربَ بيدهِ على كتفِ عليٍّ رضي اللّه عنه.

فهذاالحديث الشريف شاهدٌ على صِدْقِ ذلك التفسيرالذى أجمع فيه المفسرون على أنَّ علياً أميرَالمؤمنينَ هو نفسُ النّبيِّ محمدٍ صلّى اللّهُ عليه و آله و سَلَّمَ.

الآيةالثانية

و قالَ اللّهُ تعالى:

إنَّما وَ لِيُّكُمُاللّهُ و رَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقيمُونَالصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَالزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ (المآئدة/۵۵)

۲. عليٌّ(ع) صاحبُ الولايةِ بعدَ رسولِاللّه(ص)

قال الواحدي (أسباب النزول: ص ص ۱۳۳-۱۳۴) مفسراً و مبيناً سبب النزول:

قوله تعالى: (إنَّما وَلِيُّكُمُاللّهُ و رسولُهُ والذينَ آمَنُوا)،

قال جابربن عبداللّه:

جاء عبداللّهبن سلام إلى النّبيّ... و نحو هذا قال الكلبيّ و زاد: أنَّ آخرالآية في عليبن أبي طالب رضوان اللّه عليه؛ لأنه أعطى خاتمه سائلاً و هو راكع في الصلاة.

أخبرنا أبوبكرالتميمي... عن ابن عباس قال: أقبل عبداللّهبن سلام و معه نفرمن قومه قد آمنوا، فقالوا: يا رسولَاللّه... ثم إنَّالنّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم خرج إلى المسجد والناس بين قائم و راكع، فنظر سائلاً، فقال: (هَلْ أعطاك أحدٌ

شيئاً؟) قال: نعم، خاتم من ذهب، قال: (مَنْ أَعْطاكَهُ؟)، قال: ذلك القائمُ، وَ أَوْمَأَ بيدِهِ إلى عليّ بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه، فقال: (على أيِّ حالٍ أعطاكَ؟)، قال: أعطاني و هو راكع. فكَبَّرَ النَّبيّ صلّى اللّٰه عليه و سلَّم، ثم قرأ: (و مَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ و رسولَهُ والذينَ آمَنُا فإنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الغالِبُونَ).

فالواحدي روى سبب النزول بطريقين: الأول، رواه عن الكلبيّ؛ و الثاني، عن ابن عباس.

و إنَّ الذى فهمته من الخبر الذى نقله الواحديّ في نصه المتقدم عن ابن عباس الأمران التاليان:

الأول: أنَّ تكبيرَ النَّبيّ ـ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلَّم ـ دليلٌ على أنَّ المقصود بالمؤمنين في الآية الكريمة المتقدمة إنما هو عليٌّ أميرُ المؤمنين ـ عليه السلامُ ـ، و أنَّ النّبيَّ ـ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلَّم ـ قد سُرَّ و فرح بذلك و استبشر الخيرَ. كُلَّ الخيرِ

الثاني: أنَّ تِلاوةَ النَّبيِّ ـ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلَّمَ ـ لقوله تعالى: (وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ و رسولَهُ والذينَ آمَنُوا فإنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الغالِبُونَ) (المائدة/۵۶) في هذا المورد خاصةً دليلٌ قاطعٌ على أنَّ المقصودَ بالمؤمنينَ إنما هو عليٌّ أميرُ المؤمنينَ ـ عليه السلامُ ـ، و أنَّ هذه الآيةَ قد نزلَتْ فيه(ع) أيضاً. و تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ الزمخشري في نصه التالي قد بَيَّنَ صِحَّةَ إطلاقِ لَفْظِ الجمع على الواحدِ. و هذا يعني أنَّ الذينَ يَتَوَلَّوْنَ اللّٰهَ و رسولَهُ و وَلِيَّهُ علياً هُمْ حِزبُ اللّٰهِ، و أنَّهُمْ هُمُ المُتَّقُوْنَ؛ لأنهم هُمُ الغالبونَ. و أنَّ العاقبةَ للمتقين.

و قال الزمخشري (الكشّاف: ج ۱، ص ۶۴۹) مُفَسِّراً و مبيناً سببَ النزولِ:

و إنها نزلَتْ في عليٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ، حِينَ سألَهُ سائِلٌ و هو راكِعٌ في صلاته فَطَرَحَ له خاتمَهُ، كأنه كانَ مَرجاً في خِنصِرِهِ، فلم يَتَكلَّفْ لِخَلْعِهِ كثيرَ عملٍ تَفْسُدُ بمثلِهِ صلاتُهُ. فانْ قُلتَ: كيفَ صَحَّ أنْ يكونَ لِعَليٍّ رضي اللّٰه عنه، واللفظ لَفْظُ جماعةٍ؟. قلتُ: جيء بهِ على لفظ الجمعِ، و إنْ كانَ السببُ فيه رجلاً واحداً، لِيَرْغَبَ الناسُ في مثلِ فِعْلِهِ، فينالُوا مِثل ثَوابِهِ، و لِيُنَبِّهَ على أَنَّ سَجِيَّةَ المؤمنين يجبُ أنْ تكونَ على هذه الغايةِ من الحرصِ على البِرِّ والإحسانِ، و تَفَقُّدِ الفقراء، حتى إنْ لَزِمَهُمْ أَمْرٌ لا يَقْبَلُ التأخيرَ و هم في الصَّلاةِ، لم يُؤَخِّرُوْهُ إلى الفراغِ منها.

إنَّ الذي فهمته من نص الزمخشري المتقدم الأمران التاليان:

الأول: أنَّ السبب الوحيدَ الذي ذكره الزمخشري لنزول هذه الآية إنما هو نزولها في عليّ أمير المؤمنين عليه السلامُ متصدقاً في الصلاة. و لم يذكر سبباً آخر، و لا روايةً أخرى في

هذاالمجالِ. و هذا يَدُلُّ دلالةً واضحةً على أنَّهُ مُعتَقِدٌ بذلك اعتقادَ جَزْمٍ و قَطْعٍ.

الثاني: أنَّالزمخشري دافعَ دفاعاً علمياً عن صحةِ سببِالنزولِ هذا، و أكَّدَهُ بالأمورِ الثلاثةالتالية:

الأول: توجيهه لإطلاقِ لفظِالجَمعِ علىالواحدِ.

الثاني: بيانه أنَّ صلاةَ عليٍّ عليهالسلامُ لم تَبْطُلْ. بهذاالعملِ.

الثالث: استنباطه حكماً شرعياً من العملِالذي قام به عليٌّ عليهالسلامُ. والحكمُ هو أنه إنْ لِزَمَالمؤمنينَ أمرٌ لا يَقْبَلُالتأخيرَ و هم في الصلاةِ لم يُؤَخِّرُوا ذلك الأمرَ إلى الفراغِ منها.

لكنَّ الزمخشريّ لم يذكر صريحاً أنَّ عليّاً أميرَالمؤمنين هوالوَلِيُّ بعداللّٰه تعالى و رسولِهِ محمدٍ صلّىاللّٰهُ عليه و آلِهِ و سلَّمَ.

أما فخرالدينالرازي فقد ذكر الولاية في نصهالتالي:

قال فخرالدينالرازي (التفسيرالكبير: ج ١٢، ص ٢٦) مُفَسِّراً و مبيناً سببالنزول:

> روى عطاء عنابن عباس أنها نزلت في عليّبن أبي طالبٍ عليهالسلامُ؛ روى أنَّ عبداللّٰهبن سلام قال: لمّا نزلت هذهالآية قلت: يا رسولاللّٰه، أنا رأيتُ عليّاً تَصَدَّقَ بخاتَمِهِ على محتاج و هو راكع، فنحن نَتَوَلّاهُ. وروي عن أبي ذَرٍّ رضياللّٰه عنه أنه قال: صَلَّيتُ مع رسولِاللّٰهِ صلّىاللّٰه عليه و سلَّمَ يوماً صلاةَالظهر. فسأل سائل في المسجد فلم يُعطِهِ أحدٌ، فرفع السائلُ يده إلى السماءِ، و قال: اللهم اشهَدْ أنّي سألتُ في مسجدالرسولِ صلّىاللّٰه عليه و سلَّم، فما أعطاني أحدٌ شيئاً، و عليٌّ عليهالسلامُ، كانَ راكعاً، فَأَوْمَأَ إليه بِخِنْصِرِهِ اليُمنىٰ، و كان فيها خاتمٌ، فأقبلالسائلُ حتى أخذالخاتمَ بمَرأىٰ النّبيِّ صلّىاللّٰه عليه و سلَّمَ، فقالَ: (اللهُمَّ إنَّ أخِي موسىٰ سألكَ فقال: (ربِّ اشْرَحْ لي صَدْري) (طٰهٰ/٢٥)، إلى قوله: (و أَشْرِكْهُ في أَمْرِي) (طٰهٰ/٣٢)، فأنزلتَ قرآناً ناطقاً: (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخِيكَ و نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً) (القصص/٣٥) اللهُمَّ و أنا محمدٌ نَبِيُّكَ و صَفِيُّكَ فاشْرَحْ لي صدري، و يَسِّرْ لي أمري، و اجْعَلْ لي وزيراً من أهلي علياً أُشْدُدْ بِهِ ظهري). قال أبوذَرٍّ: فواللّٰهِ ما أتَمَّ رسولُاللّٰهِ هذهالكلمة حتى نزل جبريل، فقال: يا محمدُ اقْرَأْ: (إنَّما وَلِيُّكُمُاللّٰهُ و رسولُهُ...)، إلى آخرها.

فالرازي روى هذاالتفسير عن طريقين هما:

الأول: عن ابنِ عباسٍ.

الثاني: عن أبي ذَرٍّ.

و إني فهمت من نَصِّ الرازي المتقدم الأمورَ التالية:

الأول: أَنَّ علياً عليه‌السلام هوالوَليُّ، و هذا ما صَرَّح بـه عـبداللّـه‌بن سـلام حـين قال‌لرسول اللّه صلّى‌اللّه عليه و آله و سلَّمَ: (يا رسولَ‌اللّهِ أنا رأيتُ علياً تصَدّقَ بخاتمِه على محتاج و هو راكعٌ، فنحن نَتوَلاّهُ). ثم إنَّ سكوتَ النَّبيّ صلّى‌اللّه عليه و آله و سلّم دليلٌ على صحةِ ذلك.

الثاني: أنَّ تَصَدُّقَ عليٍّ عليه‌السلامُ بخاتَمِهِ في‌الصَّلاةِ لم يَحْصَلْ إلاّ بـعدَ أن اضـطَرَّ الفَقْرُ‌الشديدُ والحاجَةُ الماسَّةُ ذلك‌السائل إلى أنْ أَشْهَدَاللّه تعالى على أنَّه قد أَعْلَنَ فَقْرَهُ و حاجَتَهُ في مَسجِدِالرّسولِ صلّى‌اللّهُ عليه و آله و سلَّمَ، و لم يُعْطِهِ أحدٌ من‌المسلمينَ شيئاً، و لم يُسْعِفْهُ أحدٌ منهم مما هو فيهِ من‌الفاقةِ. و هذا يعني أنَّ علياً أميرالمؤمنين عليه‌السلامُ هوالشخص‌الوحيدُ‌الذي أنجزَ هذاالعملَ‌الخيرَ، و أَنْقَذَالمَوقفَ بل أنقذالمسؤولين من‌الهلاك؛ لأنه لو صدق‌السائل لهلك‌المسؤول. و حَفِظَ للمسلمينَ ماءَ وُجُوهِهِمْ، فانه لا يَليقُ و لا يَصِحُّ أنْ يُعْلِنَ سائِلٌ فَقْرَهُ مُستجيراً بمسجدالرسول صلّى‌اللّه عليه و آله و سلَّمَ، و بِمَنْ فيه من الأصحابِ الكرامِ ثم لم يُسْعِفْهُ أحدٌ منهم. هذا مع تأكيدِالدينِ‌الاسلاميِّ‌الحنيفِ على مُساعَدَةِ الفقراء و رَحْمِهِمْ والعَطْفِ عليهم.

الثالث: أنَّ النَّبِيَّ صَرَّحَ أنَّ علياً عليه‌السلامُ من أهلِهِ، و ذلك حينَ قالَ داعياً رَبَّهُ: (و آجْعَلْ لِي وَزيراً من أهلي علياً أُشْدُدْ بِهِ ظهري).

و أنه(ص) قد طلب من‌اللّه تعالى في هذاالدعاءِ أنْ يُـعَيِّنَ عـلياً وزيـراً دون غـيره من‌المؤمنين.

الرابع: أنَّ‌النَّبِيَّ ـ صلّى‌اللّه عليه و آله و سَلَّمَ ـ إنما دعا بِدُعاءِ موسىٰ عليه‌السلامُ لِيُبَيِّنَ أنَّ منزلةَ عليٍّ مـنه كـمنزلةِ هـرونَ مـن مـوسى، والذي يَـدعَمُ ذلك حـديثٌ مشـهورٌ بينَ‌المسـلمين جـميعاً صَـرَّحَ فـيه‌النَّـبيّ صـلّى‌اللّـهُ عـليه و آله و سَـلَّمَ بـذلك؛ فـقد روى‌البخاري[۴] (صحيح‌البخاری: ج ۳، ص ۸۶) أنَّ‌النَّبيّ صلّى‌اللّه عليه و آله و سلَّمَ حينَ أرادَالخروجَ إلى تبوك استخلفَ علياً، و قال له: (ألاترضىٰ أنْ تكونَ مِنّي بمنزلةِ هرونَ مِن موسىٰ إلاّ أنّه ليسَ نَبِيٌّ بَعدِي).

الخامس: أنَّ اللّٰهَ تعالى قد استجابَ دعاء نبيه‌الكريم صلّى‌اللّٰه عليه و آله و سلَّمَ بإنزال هذه الآية‌الكريمة في عليٍّ عليه‌السلامُ، فجعله وزيراً و وليّاً، و شَدَّ بهِ ظَهْرَ نَبِيِّهِ‌العظيمِ صلّى‌اللّٰه عليه و آله و سلَّمَ.

و قال أبوحيان الأندلسيّ (البحرالمحيط: ج ۳، ص ۵۱۴):

و روي أنَّ علياً رضي‌اللّٰه عنه تَصَدَّقَ بخاتمه و هو راكع في‌الصلاةِ.

و قال‌السيوطيّ (لبابُ‌النقول: ص ۹۳) مفسراً و مبيناً سبب‌النزول:

قوله تعالى: (إنَّما وَلِيُّكُمُ‌اللّٰهُ) الآية. أخرج‌الطبراني... عن عماربن ياسر، قال: وقف على عليّ‌بن أبي‌طالب سائل، و هو راكعٌ في تطوّع، فنزع خاتمَهُ، فأعطاه السائلَ، فنزلت: (إنَّما وَلِيُّكُمُ‌اللّٰهُ و رسولُهُ) الآية، و له شاهد، و قال عبدالرزاق: حدثنا عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن‌عباس: (إنَّما وليُّكُمُ‌اللّٰهُ و رسولُه) الآية، قال: نزلت في عليّ‌بن أبي‌طالب. و روى‌ابن مردويه من وجه آخر عن‌ابن عباس مثله. و أخرج أيضاً عن عليّ مثله. و أخرج ابن جرير عن مجاهد، و ابن أبي حاتم عن سلمة‌بن كهيل مثله. فهذه شواهدُ يُقَوِّي بَعضُها بعضاً.

يبدو أنَّ‌السيوطي قدروى سببَ‌النزولِ هذا بستةِ طُرقٍ يُقَوِّي بعضُها بعضاً.

و المهم أنَّ الواحدي والزمخشري والرازي والسيوطي يَرْوُوْنَ نُزُولَ هذه الآية في عليّ‌بن أبي‌طالب عليه‌السلامُ.

ثم إنَّ الآية‌التالية (المآئدة/۶۷) تؤيد ذلك و تعضده لأنها في‌الولاية أيضاً كما ورد في حديث غدير خُمٍّ. و تجدرالاشارة الى أنَّ عبارةالسيوطي هذه: (و هو راكعٌ في تَطَوُّعٍ) تدل على أنَّ ركوعَ عليٍّ(ع) لم يكن واجباً، لذلك لم يبطل بإعطائه‌الخاتمَ‌السائلَ.

الآية‌الثالثة:

قال‌اللّٰهُ تعالى:

يا أَيُّهاالرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ مِنْ رَبِّكَ و إنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رسالتَهُ واللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ‌النّاسِ (المآئدة/۶۷)

۳. عليٌّ هو مَولىٰ مَنْ كانَ رسولُاللّٰهِ(ص) مَولاهُ، فَهُوَ الوَلِيُّ مِنْ بَعدِهِ

قال الواحدي (أسباب النزول: ص ۱۳۵) مُفَسِّراً و مبيناً سَببَ النزولِ:

قوله تعالى: (يا أيها الرسولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ مِنْ رَبِّكَ...)... أخبرنا أبوسعيد محمدبن علي الصفار... عن أبي سعيد الخدريّ، قال: نزلت هذه الآيةُ: (يا أيُّها الرسولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ مِنْ رَبِّكَ) يومَ غديرِ خُمٍّ في عليّ بنِ أبي طالبٍ اللّٰه عنه.

و قال فخرالدين الرازي (التفسير الكبير: ج ۱۲، ص ص ۴۹-۵۰) مُفَسِّراً و مبيناً سببَ النزول:

العاشر: نزلَتْ الآيةُ في فضل عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلامُ، و لمّا نزلَتْ هذه الآيةُ أخذَ بيدهِ، و قال: (مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مولاهُ، اللهُمَّ و الِ مَنْ والاهُ، و عادِ مَنْ عاداهُ)، فلَقِيَهُ عُمَرُ رضى اللّٰهُ عنه، فقالَ: (هنيئاً لكَ يا ابنَ أبي طالب، أصْبَحْتَ مَولايَ و مَولىٰ كُلِّ مؤمنٍ و مؤمنةٍ)، و هو قول ابن عباس، والبراء بن عازب، و محمدبن عليّ».

فمجموعُ طُرُقِ سببِ النزول هذا عندَ الواحديّ والرازيّ أربعةٌ هي الآتيةُ: طريق أبي سعيد الخدري. و طريق ابن عباس. و طريق البراء بن عازب. و طريق محمدبن عليّ.

والمهم أنَّ الذي فهمته من نصَّي الواحدي والرازي الأمورُ التاليةُ:

الأول: أنَّ الذي أُمِرَ النَّبِيُّ ـ صلّى اللّٰهُ عليه و آله و سلَّمَ ـ بتبليغه إنّما هو ولايةُ عليّ بن أبي طالب(ع)، والوصايةُ له. و هذا هو سَببُ النزولِ. فالنّبيّ ـ صلّى اللّٰهُ عليه و آله و سلَّمَ ـ بقوله: (مَنْ كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مَولاهُ) كانَ قد نَقَلَ الولايةَ منه إلى عليٍّ(ع)، و يؤيدُ ذلكَ قَولُ عُمرَ(رض) لِعليّ(ع) مُهَنِّئاً و مباركاً له: (أصبحتَ مَولايَ و مَولىٰ كُلِّ مؤمنٍ و مؤمنةٍ)؛ لأنَّ علياً(ع) لم تكن الولايةُ قد انتقلَتْ إليه قبلَ ذلك انتقالاً رسمياً. ثم إنَّ تهنئةَ عمرَ(رض) لعليٍّ(ع) بهذه المناسبة إنَّما تَدُلُّ على أنَّ علياً(ع) قد ارتقىٰ واعتلىٰ منصباً جديداً مهماً جداً يستحقُّ عليه التهنئةَ والتبريكَ.

الثاني: أنَّ النَّبيَّ ـ صلّى اللّٰهُ عليه و آله و سلَّمَ ـ إنّما أخذَ بيدِ عليٍّ(ع) ـ مع أنه ذكرَ اسمَهُ ـ مبالغةً في تشخيصهِ للحاضرينَ، و مَنْعاً لاحتمالِ وقوعِ الاشتباه والالتباسِ في تعيينِ هذا الوَليِّ المرتضىٰ والمصطفىٰ.

الثالث: أنَّ النَّبيَّ ـ صلّى اللّٰهُ عليه و آلهِ و سلَّمَ ـ بعدَ أنْ بَلَّغَ ما أُمِرَ بهِ بنقلِ الولايةِ إلى عليٍّ(ع) دعاله قائلاً: (اللهُمَّ و الِ مَنْ والاهُ، و عادِ مَنْ عاداهُ) ـ و أكرِمْ بدعاءِ الرسولِ و أَنْعِمْ

بهِ فما أَسْرَعَ استجابتَهُ ـ والحَقُّ أنَّالنّبيَّ ـ صلّىاللّهُ عليه و آلهِ و سلَّمَ ـ ما كانَ لِيَدعُوَ لعليٍّ(ع) بهذاالدعاء المهم ـ الذي يَدلُّ على عُلُوِّ شأنِ هذاالوليِّ الجديدِ(ع) ـ إلاّ بعد أنْ ثبتَ أنَّ علياً(ع) معَالحَقِّ، و أنَّالحَقَّ معَ عليٍّ(ع)؛ لأنَّاللّهَ تعالى لا يُوالي إلاّ مَنْ كانَ معالحَقِّ، و كانَالحَقُّ معَهُ، و لا يُعادي إلاّ مَن كانَ معالباطلِ، و كانَالباطلُ معه، لذلك «ذكرَ أبومحمدٍ بنُ حَزمٍ أنَّ بُغضَ عليٍّ منالكبائرِ» (الاندلسي: ج ۶، ص ۲۲۱).

الرابع: أنَّ علياً(ع) هو مولىٰ كُلِّ مَنْ كانَالرسولُ ـ صلّىاللّهُ عليه و آلهِ و سلَّمَ ـ مولاهُ. و لقد عرف عَمرُ(رض) ذلك معرفةً دقيقةً؛ إذْقالَ لعليٍّ(ع) و هو يُهَنِّؤُهُ: (أصبحتَ مولايَ، و مولى كلِّ مؤمنٍ و مؤمنةٍ).

أماالزمخشري فقد ذكر جملة من حديث غدير خُمٍّ عند تفسيره الآيةالتالية: قالاللّه تعالى: (إنَّاللّهَ يَأمُرُ بالعَدلِ والإحسانِ و إيتاءِ ذِيالقُربىٰ و يَنْهىٰ عَنِالفَحْشاءِ والمُنكَرِ والبَغيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل/۹۰).

قالالزمخشري و هو يُبيِّنُ سَببَ انتخابِ هذهالآيةِ الكريمةِ لخُطَبِ صَلاةِالجمعة، و يَلْعَنُالذي سَنَّ سَبَّ أميرِالمؤمنينَ عليٍّ عليهالسلامُ، و يُوضِّحُ أنَّ ذلكالسَّبَّ كانَالفاحشةَ والمنكرَ والبَغيَ؛ قالالزمخشري: (الكشّاف: ج ۲، ص‌ص ۶۲۹-۶۳۰): العدلُ هوالواجبُ؛ لأنَّ اللّهَ تعالى عَدلَ فيهِ على عبادهِ، فجعلَ ما فَرَضَهُ عليهم واقعاً تحتَ طاقاتِهم... و حينَ أُسقِطَتْ منالخُطَبِ لَعْنَةُالمَلاعينِ على أميرالمؤمنينَ عليٍّ رضيَاللّهُ عنه، أُقِيمَتْ هذه الآيةُ مقامها. و لَعَمري إنها كانَتْ فاحِشَةً و مُنكراً و بَغياً. ضاعَفَاللّهُ لِمَنْ سَنَّها غَضَباً و نَكالاً و خِزْياً، إجابةً لدعوةِ نَبيِّهِ: (وعادِ مَنْ عاداه)، و كانت سببَ إسلامِ عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ.

و إنَّالذي فهمته من نصالزمخشري هذا ما يلي:

أولاً: أنَّالزمخشري روىٰ حديث غدير خُمّ، بدليل ذكره طرفاً منه على نحوالتأكيد و أنه حديث مُسَلَّمٌ به؛ لأنه ضَمَّ دعاءَهُ بالغضب والنكال والخزي على مَنْ سَنَّ سَبَّ عليٍّ عليهالسلامُ، إلى دعاءِالنّبيّ ـ صلّىاللّهُ عليه و آله و سَلَّمَ ـ الذي قال فيه: (وعادِ مَن عاداه). ثم إنَّ الزمخشري يُريدُ أنْ يقول: إنَّ دعاءَالنَّبيِّ ـ صلّىاللّهُ عليه و آلهِ و سلَّمَ ـ شاملٌللذي سَنَّ ذلكالسّبَّ.

ثانياً: أنَّالمسلمينَ حِينَ رُفِعَ ذلكالسَّبُّ مِن الخُطَبِانتَخَبُوا مكانَهُ هذهالآيةَالكريمةَ

لخطبِ صلاةِالجمعةِ. و أنَّهُمْ إنَّما انتخبُوا هذه الآيةَالكريمةللسببينِ التاليين:

الأول: أنَّهُمْ أجمعوا على أنَّ ذلكالسَّبَّ هوالفحشاءُ والمنكرُ والبَغْيُ؛ فالنهيُ الموجودُ في هذهالآيةِالكريمة شامِلٌ لذلكالسَّبِّ.

الثاني: أنَّهُمْ أَرادُوا أنْ يَستنكِرُو ذلكَالسَّبَّ و يَرُدُّوهُ.

الآيةالرابعة:

قالَاللّٰهُ تعالى:

بَراءَةٌ مِنَاللّٰهِ و رَسُولِهِ إلىالَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَالمُشْرِكينَ (التَّوبَة/۱)

۴. عليٌّ رَسُولُ رَسُولِاللّٰهِ»: «لا يُبَلِّغُ عَنِالنَّبِيِّ إلاّ عليٌّ»

«النَّبِيُّ بَلَّغَ عَنِاللّٰهِ، و عَلِيٌّ بَلَّغَ عَنِالنَّبِيِّ»

قالالزمخشري: (الكشّاف: ج ۲، ص ص ۲۴۲-۲۴۳) مفسراً و مبيناً سَببَالنزول:

قد أَذِنَاللّٰهُ في مُعاهَدةِالمشركينَ أولاً... فلمّا نَقَضُوالعَهدَ أوجبَاللّٰهُ تعالى النَّبذَ إليهم، فخُوطِبَالمسلمونَ بما تجدَّدَ من ذلك فقيل لهم: اعلَمُوا أنَّاللّٰهَ و رسوله قدبَرِئا مما عاهَدتم بهِالمشركين... فأمَّرَ رسولُاللّٰهِ ـ صلّىاللّٰه عليه و آله و سلَّمَ ـ أبابكر ـ رضياللّٰه عنه ـ على موسم سنة تسع، ثم أتبعَهُ علياً ـ رضياللّٰهُ عنه ـ راكبَالعَضباءِ(۵)، ليقرأها على أهلِالمَوسمِ، فقيلَ لَهُ: لو بَعَثْتَ بها إلى أبي بكر ـ رضياللّٰه عنه.؟ فقال: (لا يُؤَدِّي عَنِّي إلاّ رجلٌ مِنِّي)، فلما دنا عليٌّ سَمِعَ أبوبكرٍالرُّغاءَ، فوقفَ، و قال: هذا رُغاءُ ناقةِ رسولِاللّٰهِ ـ صلّىاللّٰه عليه و سلَّم ـ فلما لِحَقَهُ قالَ: أميرٌ أو مأمورٌ؟. قال: مأمورٌ. و رُوِيَ أنَّ أبابكر لمّا كانَ ببعضِالطريق هبط جبرئيل عليهالسلامُ، فقال: (يا محمدُ، لا يُبَلِّغَنَّ رِسالَتَكَ إلاّ رجلٌ منكَ)، فأرسلَ علياً، فرجع أبوبكرٍ ـ رضياللّٰه عنهما ـ إلى رسولِاللّٰهِ صلّىاللّٰهُ عليه و آله و سلَّمَ، فقال: يا رسولَاللّٰهِ، أشيءٌ نزلَ منالسَّماءِ؟. قال: نَعَمْ سِرْ، و أنت علىالمَوسم. و عليٌّ يُنادي بالآي. فلمّا كانَ قبل ـ التَّرْوِيَةِ خطبَ أبوبكر ـ رضياللّٰهُ عنه ـ و حَدَّثَهُمْ عن مناسِكِهِمْ، و قام عليٌّ ـ رضياللّٰهُ عنه ـ يومَالنَّحرِ عندَ جَمْرَةِالعَقَبةِ، فقالَ: (يا أيُّهاالناسُ، إنّي رَسُولُ رَسُولِاللّٰهِ إليكُمْ). فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين، أو أربعين آيةً.

و قال أبوحيان الأندلسيّ (البحرالمحيط: ج ۵، ص ص ۶-۷):

لمّا كانَ سنةَ تسعٍ أرادَ رسولُاللّهِ ـ صلّىاللّهُ عليه و سلّمَ ـ أن يحج، فكرِهَ أن يرى المشركين يطوفونَ عُراة، فبعَثَ أبابكرٍ أميراً علىالمَوْسِمِ، ثُمّ أتبعَهُ عـلياً لِـيَقْرأَ هذهالآيات على أهلِالموسمِ راكباً ناقَتَهُالعَضباءَ. فقيل له: لو بعثتَ بها إلى أبي بكر. فقال: (لا يُؤَدّي عَنّي إلاّ رَجُلٌ مِنّي). فلمّا اجْتَمَعا، قال أبـوبكر: أمـيرٌ أو مأمورٌ؟. قال: مأمورٌ. فلمّا كان يومُالتَّرْوِيَةِ خطبَ أبوبكر. و قام عليٌّ يومَالنَّحرِ بعد جَمْرَةِالعقبةِ، فقالَ: (يا أيُّهاالناسُ، إنّي رَسُولُ رَسُولِاللّهِ ـ صلّىاللّهُ عليه و سلّمَ ـ إليكُمْ). فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثينَ آيةً أو أربعينَ.

إنَّالذي فهمته من نَصِّي الزمخشري و أبي حيانالأمورُالتاليةُ:

الأول: أنَّ جبرائيل عليهالسلام قد نَهىٰ النّبِيَّ عن أنْ يُسنِدَ أمْرَالتبليغِ إلى رجـل ليس منه. و أنَّ النبِيَّ امتثل أمرَ رَبِّهِ فأرسَلَ ـ علياً ـ عليهالسلام ـ و أنه حين اعـترض عـليه بعضالصحابة رَدَّهُ قائلاً: (لا يُؤَدّي عني إلاّ رجلٌ مِنّي).

كُلُّ ذلك إنما يدل على أنَّالتبليغَ منحصرٌ في عليّ عليهالسلام بأمراللّه تعالى، أو قُلْ: منحصرٌ في أهل بيته عليهمالسلام.

الثاني: أنَّ أبابكر(رض) حينما علم بإرسال النّبيّ ـ صلّىاللّهُ عـليه و آله و سـلّمَ ـ علياً(ع) رجع إلىالنّبيّ ـ صلّىاللّه عليه و آله و سلّمَ ـ ليسأل عن سبب اختصاص عليّ ـ عليهالسلامُ ـ بالتبليغ عنالنّبيّ ـ صلّىاللّه عليه و آله و سلّمَ ـ مع أنّه أرسل أبابكر(رض) قبل ذلك. لذلك فهو(۶) ـ بحسبالظاهر ـ أولى بهذاالأمر من غيره. لكـنَّ أبـابكر(رض) سرعانَ ما علم أنَّ ذلك إنما تَمَّ بأمرٍ مِنَاللّهِ تعالى، و انتخابٍ منالنَّبيّ ـ صلّىاللّه عليه و آله و سلّمَ ـ و لم يكن أبوبكر(رض) هوالشخصالوحيدالذي سأل عنالسبب. فـقد مَـرَّ علينا فيما سبق أنَّ بعضالأصحاب اعترض علىالنَّبيّ ـ صلّىاللّهُ عليه و آله و سَـلّمَ ـ قائلاً: (لَوْ بَعَثْتَ بها إلى أبيبكر). لكنَّ النَّبيَّ ـ صلّىاللّهُ عليه و آله و سلّمَ ـ أبىٰ إلاّ امتثالَ أمرِ رَبِّهِ. والمهم أنَّ كُلَّ ذلك إنما يَدُلُّ دلالةً واضحةً على أهميةِ هذاالأمرِ و خطورتهِ. فهو من الأهميةِ بحيثُ استلزمَ نزولَ الوحي.

الثالث: أننا إذا قَرَنّا كلامَ جبرائيل عليهالسلامُ و هو: (يا محمدُ. لا يُبَلِغَنَّ رسالتك إلاّ رجلٌ منك) بكلام النّبيّ ـ صلّىاللّه عليه و آله و سلّم ـ و هو: (لا يُؤَدّي ـ أولا يُبَلِّغُ ـ عَنّي

إلاّ رجلٌ مِنّي) وجدنا أنَّ في الحديث الشريف كلمة (عَنّي) تفسرلنا كلمة: (رسالتك) في كلام جبرائيل ـ عليه السلامُ ـ و تُبيِّنُ أنَّ المقصودَ شمولُ جميعِ مواردالتبليغ. و أنَّ التبليغَ غيرُ منحصرٍ في قصةِ سورةِ (براءَة) فحسب. بل يَستغرقُ التبليغَ عن النّبيّ بجميع مواردِهِ.

الرابع: أنَّ انتخابَ عليٍّ ـ عليه السلامُ ـ لكلمة (رسول) في قوله: (أنا رسولُ رسولِ اللّهِ إليكُمْ) والإخبار بها عن نفسه إنما كانَ للإشارة إلى كلام جبرائيل ـ عليه السلام ـ والحديث الشريف. يعني: لا يُبَلِّغُ عن اللّهِ تعالى إلاّ رسولُ اللّهِ، و لا يُبلِّغُ عن رسولِ اللّهِ إلاّ رسولُهُ عليٌّ.

و قال الزجاج (معاني القرآن و... : ج ۲، ص ص ۴۷۲-۴۷۳) مفسراً و مبيناً سبب النزولِ:

> و براءة نزلت في سنة تسع من الهجرة، و افتتحت مكةُ في سنة ثمان... فلمّا كان في سنة تسع ولّىٰ رسول اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه و سلَّمَ ـ أبابكر الصديق الوقوفَ بالناس، و أَمَرَ بتلاوة براءة، و وَلّىٰ تلاوَتَها علياً، و قال في ذلك: (لَنْ يُبَلِّغَ عَنّي إلاّ رجلٌ مِنّي)، و ذلك لأنَّ العربَ جرَتْ عادَتُها في عَقْدِ عُقُودِها و نقضها أنْ يتولّىٰ ذلك على القبيلة رجلٌ منها. فكان جائزاً أن يقولَ العربُ إذا تُلِيَ عليها نَقْضُ العَهدِ من الرسولِ: هذا خلافُ ما نعرفُ فينا في نقض العُهُودِ. فأزاحَ رسولُ اللّهِ ـ صلّى اللّهُ عليه و سلَّمَ ـ هذه العلةَ. فَتُلِيَتْ بَراءَةُ في المَوقفِ.

مناقشة الزجاج: إنَّ قول الزجاج:

(و ذلك لأنَّ العربَ جرت عادتها...) إنما هو تعليل بالرأي دُونَ سندٍ من روايةٍ و حديث. و لو تركَ ذلك دونَ تعليل لكانَ خيراً له؛ لأنَّ التعليلَ الصحيحَ قدوردَ في الأثرِ. و قد سَمِعَهُ أبوبكر مِنَ النَّبيِّ ـ صلّى اللّهُ عليه و آلهِ و سلَّمَ ـ و آقتنعَ به، و عادَ لِيُنْجِزَ ما أُمِرَ بإنجازِه. فالسببُ ليس تَصرُّفاً شخصياً من الرسول ـ صلّى اللّه عليه و آله و سلَّمَ ـ و إنما هو الوحي الذي نزلَ به الروحُ الأمينُ، كما نصَّ عليه الزمخشري فيما سبق. و لو كان الأمر كما قال الزجاج لما اقترحَ بعضُ الأصحاب على النّبيّ(ص) أنْ يبعثَ (براءة) إلى أبي بكر. بل لما تكلف أبوبكر العودةَ الى النّبيّ(ص) ليسألَهُ عن السببِ. ثم إنَّ هؤلاء العرب المشركين قد فعلوا و قالوا ما هو أعظم مما احتمل الزجاج أن يقولوه؛ لأنهم قد نقضوا العهد و أنَّ اللّه تعالى قد أعلنَ البراءَةَ منهم و من عهودهم و لم يَعبأ بهم و لا بما جرت به عادتُهم و لا بما يحتمل أن يقولوه فلا موجبَ و لا مجالَ لمسايرتهم و مداهنتهم في ذلك.

الآيةُ الخامسةُ:

قال الله تعالى:

إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا و عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدّاً (مريم/۹۶)

۵. حُبُّ عليٍّ(ع) مِنَ الإيمانِ و بُغْضُهُ مِنَ الكبائِرِ

قال الزمخشري (الكشّاف: ج ۳، ص ۴۷) مفسراً و مبيناً سبب النزول:

و روي أنَّ النّبيَّ ـ صلّى اللّهُ عليه و سلَّم ـ قال لعليٍّ ـ رضي اللّه عنه ـ: (يا عليُّ، قُلِ اللهُمَّ اْجْعَلْ لِي عندكَ عَهْداً، واجْعَلَ لي في صدورِ المؤمنينَ مَوَدَّةً)، فأنزلَ اللّه هذه الآيةَ. و عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ: (يعني يُحِبُّهُمُ اللّهُ، و يُحَبِّبُهُمْ إلى خَلْقِهِ).

و قال أبوحيان الأندلسيّ (البحرالمحيط: ج ۶، ص ۲۲۱):

و ذكر النقاش أنها نزلت في عليِّ بنِ أبي طالب. و قال محمدبن الحنفية: (لا تَجِدُ مؤمناً إلاّ و هو يُحِبُّ علياً و أَهْلَ بيتِهِ.) انتهىٰ. و من غريب هـذا مـا أنشـدَناهُ الإمـامُ اللـغوي رضـيّ الديـن أبـوعبداللّـه مـحمدبن عـلىبن يـوسف الأنصاري الشاطبيّ ـ رحمه اللّه تعالى ـ لزبينا بن إسحاق النّصرانيّ الرّسغيّ:

عَـدِيٌّ و تَـيمٌ لا أُحـاوِلُ ذِكْـرَهُمْ ... بِسُـوءٍ و لكـنّي مُـحِبٌّ لهـاشِمِ
و ما تَعْتَرِينِي فـي عَـلِيٍّ وَ رَهْـطِهِ ... إذا ذُكِـرُوا فـي اللّـهِ لَـوْمَةَ لائِـمِ
يقولونَ: ما بالُ النَّـصارىٰ تُـحِبُّهُمْ ... و أهلُ النُّهَىٰ مِنْ أعْـرُبٍ و أعـاجِمِ
فـقلتُ لهـم: إنِّـي لَأَحْسَبُ حُـبَّهُمْ ... سرىٰ في قُلُوبِ الخَلْقِ حتّىٰ البَهائِمِ

و ذكر أبو محمدبن حزم: أنَّ بُغْضَ عليٍّ مِنَ الكبائِرِ.

و إنَّ الذي استفدته من نصِّ الزمخشري و أبي حيّان الأمور التاليةُ:

الأول: أنَّ الآيةَ الكريمةَ نزلت في فضل عليبن أبي طالب(ع).

الثاني: أنَّ اللّه تعالى يُحِبُّ علياً(ع)، و أنه هوالذى حَبَّبَهُ إلى الخلقِ.

الثالث: أنَّهُ لا يوجد مؤمنٌ إلاّ و هو يُحِبُّ علياً و أهلَ بيتِهِ.

الرابع: أنَّ بُعضَ عليٍّ(ع) من الكبائر.

الخامس: أنَّ النصارىٰ يُحِبُّنَ علياً(ع) أيضاً للصفات التي تَفَرَّدَبها.

السـادس: أنَّ اللّه تعالى قد جعلَ لعليٍّ(ع) عنده عهداً. هو عهدُ الايمان و عمل الخـير والمودة.

الآيةالسادسة:

قالَاللّٰه تعالى:

أَفَمَنْ كانَ مُؤمناً كَمَنْ كانَ فاسقاً لا يَسْتَوُوْنَ (السجدة/١٨)

۶. المؤمنُ هو عليٌّ(ع)

قالالواحدي (أسبابالنزول: ص ص ٢٣٥-٢٣۶):

قوله تعالى: (أفَمَنْ كانَ مؤمناً كَمَنْ كانَ فاسقاً) الآية: نزلت في عليّبن أبي طالب، والوليدُبنُ عقبة.

أخبرنا أبوبكر أحمدبن محمدالأصفهاني قال: أخبرنا عبداللّٰهبن محمدالحافظ، قالَ: أخبرنا إسحاقبن بيان الأنماطيّ... عن سعيد ابن جبير، عن ابنعباس، قال: قالالوليدبن عقبةبن أبي معيط لعليّبن أبي طالب ـ رضياللّٰه عنه ـ: أنا أحَدُّ منكَ سِناناً، و أبْسَطُ منك لِساناً، و أمْلَأُ للكتيبةِ منكَ. فقال له عليٌّ (اُسكُتْ، فإنَّما أنتَ فاسِقٌ)، فنزل: (أفَمَنْ كان مؤمناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُوْنَ). قال: يعني بالمؤمن علياً، و بالفاسق الوليدَ بنَ عقبة.

و قالالزمخشري (الكشّاف: ج ٣، ص ص ٥١۴-٥١۵):

و رُوِيَ في نزولها: أنه شَجَر بين عليّبن أبيطالب ـ رضياللّٰه عنه ـ والوليدبن عقبةبن أبي معيط يوم بدر كلام. فقال لهالوليد: اُسكُتْ، فانك صبيّ، أنا أشَبُّ منك شباباً، و أجْلَدُ منك جَلَداً، و أذرَبُ منك لساناً، و أشجع منك جناناً، و أملأُ منك حَشواً في الكتيبة. فقال له عليٌّ ـ رضياللّٰه عنه: (اُسكُتْ، فانك فاسق)، فنزلت... و عنالحسن بن عليّ ـ رضياللّٰه عنهما ـ: أنه قالللوليد: كيفَ تشتُمُ علياً و قد سَمّاهُاللّٰهُ مؤمناً في عَشْرِ آياتٍ، و سمّاكَ فاسقاً؟.

و قال محمدبن أبيبكرالرازي (مسائل الرازى ... : ص ٢٧۶):

الفاسق ـ هنا ـ بمعنىالكافر بدليل قوله تعالى بعده: (وَ قِيْلَ لَهُمْ ذُوقُوْا عَذابَ النارِ الذي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) (السجدة/٢٠)، والتقسيم يقتضي كون الفاسقِالمذكورِ هنا كافراً، لاكونَ كلِّ فاسقٍ كافراً أماالسيوطي (لبابالنقول: ص ١٧٠) فقد نقل نصَّالواحدي ثم أضاف قائلاً: و أخرج ابن جرير عن عطاء ابن يسار مثله، و أخرج ابن عديّ، والخطيب في تاريخه من طريق الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس مثله. و أخرجالخطيب و ابن عساكر من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن

دينار عن ابن عباس: أنها نزلت في عليّبن أبي‌طالب و عقبةبن أبي معيط.

و يمكننا أن نستفيد الأمورالتالية من‌النصوص المتقدمة:

الأول: أنَّ‌القرآن‌الكريم قد شهد بإيمان عليّ‌بن أبي‌طالب(ع)

الثاني: أنَّ‌القرآن‌الكريم قد صدّقَ علياً(ع) في نسبته‌الفسق إلى‌الوليد.

الثالث: أنَّ علياً لم يُجِبِ‌الوليدَ إلاّ بقوله: (فاسق)، و هذا الجواب ناشىء عن الثقافة الاسلامية؛ لأنَّ الفضلَ لا يَتحققُ إلاّ بالتقوىٰ لذلك اكتفىٰ عليٌّ(ع) بذكر صفةالفسقِ لأنَّها تُنافي التقوىٰ، و لم يُجِبْهُ على ما ذكر من‌الصفات‌التي افتخربها. فعليٌّ تكلمَ بلغةِالاسلامِ. والوليد تكلم بلغة الجاهلية.

الرابع: أنَّ كلمة (فاسق) في هذه‌الآية بمعنى كافر. لذلك فالوليد كافر.

الخامس: أنَّ سببَ‌النزولِ كالمُجمعِ عليه. والواحدي لم يذكر سبباً آخر غيرَ هذا.

الآيةُ السابعةُ:

قالَ‌اللّهُ تعالى:

إنَّما يُـريدُاللّـهُ لِـيُذْهِبَ عَـنْكُمُ الرِّجْسَ أهـلَ‌البـيتِ و يُـطَهِّرَكُـمْ تَـطهِيراً
(الأحزاب/۳۳)

۷. أهلُ البيتِ هُمْ أصحابُ الكِساءِالخَمسَةُ

قال‌الواحدي (أسباب‌النزول: ص ۲۳۹):

... أخبرنا أبوبكر الحارثی قـال... عـن أبـي سـعيد (إنّـما يُـريدُاللّـهُ لِـيُذهِبَ عنكمُ‌الرِّجْسَ أهلَ‌البيتِ و يُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً)، قال: نزلت في خمسة؛ في‌النّبيّ ـ صلّى‌اللّه عليه و سلَّمَ ـ و عليّ و فاطمة والحسن والحسين عليهم‌السلام.

و قال أبوجعفر النحاس (إعراب‌القرآن: ج ۳، ص ۳۱۴):

إنَّما يُرِيدُاللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ‌البيتِ)، قال أبو إسحاق: قيل: يُرادُبـهِ نساءُالنّبيّ ـ صلّى‌اللّه عليه و سلَّمَ ـ و قيل: يُرادُ به نساؤُهُ و أهلُهُ‌الذين هم أهلُ بيته. قال أبوجعفر: والحديث في هذا مشهور عن أمّ سَلَمة، و أبي سعيدالخدريّ، أنَّ هذا نزل في عليّ و فاطمة والحسن والحسين ـ رضي‌اللّه عنهم ـ، و كـان عليهم كساء.

و قال الزمخشري (الكشّاف: ج ۱، ص ۳۶۹):

و عن عائشة ـ رضي‌اللّٰه عنها ـ أنَّ رسولَ‌اللّٰهِ ـ صلّى‌اللّٰه عليه و سلّم ـ خرج و عليه مِرطٌ مرجل من شعرٍ أسودَ، فجاء الحسنُ، فأدخلَهُ، ثم جاء الحسين فأدخلَهُ، ثم فاطمةُ، ثم عليٌّ، ثم قال: (إنَّما يُريدُاللّٰهُ لِيُذْهِبَ عنكمُ‌الرِّجْسَ أهلَ‌البيتِ).

و قال فخرالدين الرازيّ (التفسيرالكبير: ج ۸، ص ۸۰):

و روي أنه عليه‌السلام لمّا خرج في المرط الأسود. فجاء الحسن ـ رضي اللّٰه عنه ـ ، فأدخلَهُ، ثم جاء الحسين ـ رضي‌اللّٰه عنه ـ ، فأدخلَهُ؛ ثم فاطمة، ثم عليٌّ ـ رضي‌اللّٰهُ عنهما ـ ، ثم قال: (إنَّما يُريدُاللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرجسَ أهلَ‌البيتِ و يُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً). و اعلَمْ أنَّ هذه‌الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل‌التفسير والحديث.

و قال أبوحيان الأندلسيّ (البحرالمحيط: ج ۷، ص ۲۳۱):

و قال أبو سعيدالخدريّ: هو خاصٌّ برسول‌اللّٰه و عليٍّ و فاطمةَ والحسنِ والحسينِ. وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ أنسٍ و عائشةَ و أُمِّ سَلَمةَ.

و إنَّ‌الذي فهمته من‌النصوص السابقة ما يلي:

أنَّ الرواياتِ الصحيحةَ كالمُجْمِعَةِ على أنَّ المقصودَ بأهل‌البيت في هذه الآيةِ الكريمة إنماهم أصحابُ‌الكساءِ‌الخمسةُ و هُمْ: النّبيّ(ص) و عليٌّ و فاطمةُ والحسنُ والحسينُ عليهم‌السلامُ.

و أنَّ عائشةَ(رض) روَتْ أنَّ أهلَ‌البيتِ هم أصحابُ‌الكساءِ الخمسةُ هؤلاءِ فقط. و لو كانت هي من أهل‌البيت المقصودين بهذهِ الآيةِ الكريمةِ لَما صَحَّتْ عنها هذه الروايةُ التي صَرَّحَتْ فيها أنَّ أهل‌البيت هم أصحابُ الكساءِ‌الخمسة. كما وردَ ذلكَ في نصِّ‌الزمخشري المتقدم.

الآيةُ‌الثامنةُ:

قال‌اللّٰهُ تعالى:

... قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عليه أَجْراً إلَّاالمَوَدَّةَ فيالقُرْبىٰ و مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فيها حُسناً إنَّ‌اللّٰهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (الشّورىٰ/۲۳)

٨. القُربىٰ هُمَ أهلُ البيتِ، والأجرُ مَوَدَّتُهم

قال الزمخشري (الكشّاف: ج ۴، ص‌ص ۲۱۹-۲۲۱):

ورُوِيَ أنّها لَمّا نزلَتْ قيل: يا رسولَ اللّهِ، مَنْ قَرابَتُكَ هؤلاءِ الذين وجَبَتْ علينا مَوَدَّتُهُمْ؟ قال: (عليٌّ و فاطمةُ و ابناهما)، و يدل عليه ما روي عن عليّ ـ رضي اللّٰه عنه ـ: (شَكَوْتُ إلى رسولِ اللّٰه ـ صلّى اللّٰهُ عليه و سلَّمَ ـ حَسَدَ الناسِ لي. فقالَ: (أما ترضىٰ أن تكونَ رابعَ أربعةٍ: أوَّلُ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ أنا و أنتَ والحسنُ والحسينُ. و أزواجنا عن أيماننا و شمائلنا. و ذريتنا خَلْفَ أزواجنا). و عن النّبيّ ـ صلّى اللّٰه عليه و سَلَّمَ ـ: (حُرِّمَتِ الجَنَّةُ على مَنْ ظَلَمَ أهلَ بيتي، و آذاني في عِتْرَتي...) ... و قال رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه و سلّم ـ: (مَنْ ماتَ على حُبِّ آلِ محمدٍ ماتَ شهيداً، ألا و مَنْ ماتَ على حُبِّ آلِ محمدٍ ماتَ مغفوراً لَهُ، ألا و مَنْ ماتَ على حُبِّ آلِ محمدٍ ماتَ تائباً، ألا و مَنْ ماتَ على حُبِّ آلِ محمدٍ ماتَ مؤمناً مُستَكمِلَ الايمانِ، ألا و مَنْ ماتَ على حُبِّ آلِ محمد بَشَّرَهُ مَلَكُ الموتِ بالجنّةِ، ثم منكرٌ و نكيرٌ، ألا و مَنْ ماتَ على حُبِّ آلِ محمدٍ يُزَفُّ إلى الجنّةِ كما تُزَفُّ العروسُ إلى بيت زوجها، ألا و مَنْ ماتَ على حُبِّ آلِ محمدٍ فُتِحَ له في قبره بابانِ إلى الجنّةِ، ألا و مَن ماتَ على حُبِّ آلِ محمدٍ جعلَ اللّٰهُ قَبرَهُ مَزارَ ملائكةِ الرحمةِ، ألا و مَنْ ماتَ على حُبِّ آلِ محمدٍ ماتَ على السُّنَّةِ والجَماعَةِ، ألا و مَنْ ماتَ على بُغضِ آلِ محمد جاء يومَ القيامةِ مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمةِ اللّٰهِ، ألا و مَنْ ماتَ على بغض آل محمد ماتَ كافراً، ألا و مَن مات على بغض آل محمد لم يَشُمَّ رائحةَ الجنّةِ)... (مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً) عن السُّدِّيّ أنها المودةُ في آلِ رسولِ اللّٰهِ ـ صلّى اللّٰه عليه و سلَّمَ ـ... والظاهر: العموم في أيِّ حسنة كانت؛ إلاّ أنها لَمّا ذكرت عقيب ذكر المودة في القربىٰ دَلَّ ذلك على أنها تناولت المودةَ تناولاً أولياً، كأنَّ سائر الحسنات لها توابع.

و قال أبوحيان الأندلسيّ (البحر المحيط: ج ۷، ص ۵۱۶):

فالمعنى: لا أسألكُمْ مالاً ولا رياسة، و لكن أسألكُمْ أن ترعَوْا حَقَّ قرابتي، و تُصَدِّقُوني فيما جئتكم به... فنزلت على معنى أن لا تُؤذوني في قرابتي و تحفظوني فيهم. و قال بهذا المعنى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، و

استشهد بالآية حينَ سِيقَ إلى‌الشام أسيراً، و هو قول ابن جبير والسُّدِّيّ و عمروبن شعيب، و على هذاالتأويل قال ابن عباس: قيل يا رسولَاللّٰهِ: مَنْ قرابتك‌الذين أُمِرْنا بِمَوَدَّتِهِمْ؟ فقال: (عليٌّ و فاطمةُ و ابناهما)». ... (و مَنْ يقترفْ حسنةً): أي: يكتسب، والظاهر عموم‌الحسنة... فيندرجُ فيهاالمودة في‌القربى و غيرها. و عن ابن عباس والسّدِّيّ: أنهاالمودة في آلِ رسولِاللّٰهِ ـ صلّى‌اللّٰهِ ـ عليه و سلم.

و إنَّ الذي فهمته من نصّي الزمخشري و أبي حيان الأُمورالتالية:

الأول: أنَّالمقصود بالقربىٰ ـ هنا ـ قرابةُالنّبيّ ـ صلّى‌اللّٰه عليه و آله و سلَّم ـ و هم أصحابُ‌الكساءِ أهل‌البيت و أنَّ الأجرَ مَوَدَّةُ أصحابِ‌الكساءِ عليهم‌السلامُ.

الثاني: أنَّ أصحابَ‌الكساء هم أول مَن يَدخُلِ‌الجنّةَ.

الثالث: أنَّالجنّةَ مُحَرَّمَةٌ على مَن ظلمَ أهلَ‌البيت و آذاهُمْ.

الرابع: أنَّ مَنْ آذىٰ أصحابَ‌الكساء فقد آذىٰ النّبيّ ـ صلّى‌اللّٰه عليه و آلهِ و سلّم ـ

الخامس: أنَّ مَنْ ماتَ على حُبِّ آل محمد ماتَ شهيداً مغفوراً له، و يُزَفُّ الى‌الجنة. و أنَّ مَنْ ماتَ على بُغْضِ آلِ محمدٍ مات كافراً آيِساً من رحمةاللّٰه، و لم يَشُمَّ رائحةَالجنةِ.

السادس: أنَّ ابن عباس والسّدِّيّ قد ذكرا أنَّالحسنةَ في هذهالآيةِ الكريمة إنما هي المودة في آل‌الرسول ـ صلّى‌اللّٰه عليه و آله و سلَّم ـ، و أنَّالزمخشري قد استدَلَّ ـ علمياً ـ على أنَّ سائِرَالحسناتِ توابعُ لِمَوَدَّةِ أهل‌البيت عليهم‌السلامُ.

السابع: أنَّ عليَّ بنَ أبي‌طالب(ع) كان محسوداً.

الثامن: أنَّالذين ظلموا أهلَ‌البيتِ(ع) ـ و لم يَقِفْ بِهِمْ حَسَدُهُمْ عِندَ عَدَمِ مَوَدَّتِهم فتجاوزوا ذلك إلى‌الظلم ـ هم في عذابِ جهنّمَ خالدونَ.

الآيتان‌التاسعة والعاشرة:

قال‌اللّٰه تعالى:

و يُطْعِمُونَ‌الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسْكِيناً و يتيماً و أسيراً. إنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِاللّٰهِ لا نُرِيدُ منكُمْ جَزاءاً و لا شُكُوراً (الانسان/۸ و ۹)

٩. اللّٰهُ يُهَنِّئُ محمداً في أهلِ بيتِهِ

قال الواحدي (أسباب النزول: ص ٢٩٦):

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ) قوله تعالى: (و يُطْعِمُوْنَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مسكيناً...)؛ قالَ عَطاءٌ عن ابن عباس: و ذلك أنَّ عليَّ بنَ أبي طالب ـ رضي اللّٰه عنه ـ نوبة أجر نفسَهُ يسقي نخلاً بشيء من شعير ليلةً حتى أصبح، و قبضَ الشعيرَ، و طحنَ ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوا، يقالُ له: الخزيرة، فلمّا تَمَّ إنْضاجُهُ، أتىٰ مسكين فأخرجوا إليه الطعامَ، ثم عملَ الثلثَ الثاني، فلمّا تَمَّ إنْضاجُهُ، أتىٰ يتيمٌ، فسألَ فأطعموهُ، ثم عمل الثلثَ الباقي، فلمّا تَمَّ إنْضاجُهُ أتىٰ أسيرٌ من المشركين، فأطعموهُ، و طَوَوْا يومَهُمْ ذلك، فأُنْزِلَتْ فيه هذه الآيةُ.

و قال الزمخشري (الكشّاف: ج ٤، ص ٦٧٠):

و عن ابن عباس ـ رضي اللّٰه عنه: أنَّ الحسن والحسين مَرِضا، فعادهما رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه و سلَّم ـ في ناسٍ معه، فقالوا: يا أباالحسن، لو نذرتَ على وُلدِكَ، فنذر عليٌّ و فاطمة و فِضَّةُ جارية لهما، إنْ بَرِء امابهما: أن يصوموا ثلاثة أيام، فشُفِيا، و ما معهم شيء، فاستقرضَ عليٌّ... ثلاثَ أَصْوُعٍ من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً، و اختبزت خمسة أقراصٍ على عددهم، فوضعوها بين أيديهم لِيَفْطُرُوا، فوقف عليهم سائلٌ، فقال: السلامُ عليكم أهلَ بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أَطْعِمُوني، أَطعَمَكُمُ اللّٰهُ مِن مَوائدِ الجنّةِ، فآثروهُ، و باتُوا لم يَذوقُوا إلاّ الماءَ، و أصبَحُوا صياماً، فلمّا أَمْسَوا، و وَضَعُوا الطعامَ بين أيديهم، وقف عليهم يتيمٌ، فآثروهُ، و وقف عليهم أسيرٌ في الثالثة، ففعلوا مثلَ ذلك، فلمّا أصبحوا، أخذ عليٌّ ـ رضي اللّٰه عنه ـ بيد الحسن والحسين، و أقبلوا إلى رسولِ اللّٰهِ ـ صلّى اللّٰه عليه و سلَّم ـ، فلمّا أبصرَهُمْ و هم يَرتَعِشُونَ كالفِراخِ مِن شِدَّةِ الجوعِ قال: (ما أشَدَّ ما يَسُوءُني ما أرىٰ بكم.) و قام فانطلقَ معَهُمْ، فرأىٰ فاطمةَ في محرابها، قد التصقَ ظهرها ببطنها، و غارَتْ عيناها، فساءَهُ ذلك، فنزل جبريل: و قالَ: (خُذْها، يا محمدُ، هَنَّأَكَ اللّٰهُ في أهلِ بَيتِكَ)، فأقْرَأَهُ السُّوْرَةَ.

و قال فخرالدين الرازي (التفسير الكبير: ج ٣، ص ص ٢٤٣-٢٤٤) ذاكراً ما أثبته الواحديّ والزمخشري:

والواحديّ من أصحابنا ذكر في كتاب البسيط أنها نزلت في حَقِّ عليٍّ عليه السلامُ، و صاحب الكشاف من المعتزلة ذكر هذه القصة؛ فروىٰ عن ابن

عباس ـ رضي‌اللّٰه عنهما ـ أنَّ‌الحسنَ والحسينَ ـ عليهماالسلام ـ مَرِضا فعادَهُما رسولُ‌اللّٰهِ... ثم ذكرَ‌القصةَ‌التي ذكرَها‌الزمخشريُّ.

و يمكننا أن نفهمَ الأمورالتالية من‌النصوص‌المتقدمة:

الأول: أنَّ اللّٰه تعالى قد هَنَّأَ محمداً ـ صلّى‌اللّٰه عليه و آله و سلَّم ـ في أهل بيته.

الثاني: أنَّ أهلَ‌البيتِ هم: عليٌّ و فاطمةُ والحسنُ والحسينُ ـ عليهم‌السلامُ ـ.

الثالث: أنَّ سورةَ‌الإنسانِ قد نزلَتْ كُلُّها في فَضلِ أهل‌البيت ـ عليهم‌السلام ـ، و هذا ما صرّح به‌الزمخشري حين قال: «فأقرأَهُ‌السّورةَ».

الرابع: أنَّ سبب تصريح‌الواحدي بأنها نزلت في فضل عليّ(ع) ـ في حين أنها نزلت في حقه و حق أهل بيته ـ أنَّ علياً هو رَبُّ‌البيت والآمرُ فيه، و أنَّ أهلَ بيته مشاركون له في هذا‌الإطعام والتحمُّل و مشمولون به.

الهوامش

۱. أي: أرسل النّبيّ(ص) إلى‌العاقب والسيد، و هما راهبا نجران.
۲. أي: فنزلت في أهلِ‌البيت عليهم‌السلامُ.
۳. هو محمدبن يوسف‌بن عليّ‌بن يوسف‌بن حيان أبوعبداللّٰه الأندلسيّ‌الجيانيّ.
۴. هو أبوعبدِاللّٰهِ محمدبن اسماعيل‌بن إبراهيم بن بردزبه‌الجعفيّ بالولاءِ.
۵. هي ناقة رسول‌اللّٰهِ ـ صلّى‌اللّٰهُ عليه و آلهِ و سَلَّمَ.
۶. أي: فأبوبكر.

المراجع

القرآن
نهج‌البلاغه
الاندلسی الجيانّي، أبی حيان. ـــ. البحرالمحيط.
البخاری، ـــ. ـــ. صحيح‌البخاری.
الرازی، فخرالدين. ـــ. التفسيرالكبير.
الرازی، محمدبن ابی‌بكربن عبدالقادر. ـــ. مسائل الرازيّ من غرائب آي التنزيل.
الزجاج، أبی اسحق ابراهيم. ـــ. معانی‌القرآن و إعرابه.

الزمخشري، أبي القاسم محمودبن عمر. ـــ. الكشّاف.
السيوطي، جلال‌الدين. ـــ. لبابُ النُّقُولِ.
الغِرناطيّ، ابن عطيّةَ. ـــ. المُحَرَّرُ الوجيزُ في تفسير الكتاب العزيز.
الفراء، أبي زكريا. ـــ. معاني القرآن.
النحاس، أبي جعفر. ـــ. إعراب القرآن.
الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي‌بن أحمد. ـــ. أسباب النزول.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی